

الاختلاف المطلوب والاختلاف المرفوض

ابراهيم محمود

«ولا تنابدوا بالألقاب»

- من آية قرآنية -

ايضاً:

«أياً كان الذي تقابله في الطريق
عدواً كان أو صديقاً،
فهو مثلك تماماً، انسان
فلا تنس هذا وأنت تحمل خنجرك»

- رسول حمزاتوف -

يشكل أي خطاب كان، نتاجاً يحمل معه وداخله عناصره التي تكونه، وتتجلى من خلاله شخصية وبنية المنتج، ويكون اتجاه هذا الخطاب نحو المستقبل، ولكنه يستند الى ركيزة الحاضر المتصل بالماضي بدوره، سواء أكان الخطاب مسموعاً (موسيقى، غناء) أم مقروءاً (في النقد بكافة أشكاله وفي الكتابات الأدبية من: شعر وقصة ورواية ومسرح) أو مرئياً (في الرسم

والنحت وفنون الزخرفة والفنون التطبيقية) أو حركياً سمعياً (في الفن التمثيلي)... الخ.

هذا الخطاب المتنوع لا يعتبر مكتوباً للذات ومن أجلها، ما دام هو موجّه، وإنما يخترن العام في فضائه؛ انه خطاب فردي ولكنه قائم ونابت في «الجمعة» وفي هذا الخطاب لا يقدم المنتج اسمه مجرداً، وإنما اسمه «الحركي» الاسم الاجتماعي. وباختصار، يمكن القول هنا: ان كل خطاب هو مؤدج، وتتجلى مساحته وآفاقه من خلال الارضية التي يقوم عليها، والعالم المختزل داخله.

واذا كان لكل خطاب أفقه الخاص به، ومنظوره (سستامه وباستيميته) فهو يكون مختلفاً أو متفقاً أو متوافقاً مع خطاب آخر قليلاً وكثيراً، نابعاً من طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تبلور هويته الاجتماعية. وإذا كنا نعلم أنه من تناقض الآراء تنبثق حقيقة معينة، فيجب القول هنا: ان هذا التناقض هو

(*) باحث وكاتب من الجمهورية العربية السورية - القامشلي.

تناقض حيوي توليدي، وليس اجترارياً، أو صارخاً، بحيث يلغي تواصل التفاصيل؛ وشرط هذا التواصل هو تواجد أساسيات الحوار الموجه في كافة الاشكال الكتابية والنقدية والفنية.

إن التاريخ يقدم لنا أمثلة كثيرة من هذا النوع، بل التاريخ بحد ذاته هو المتناقض مع ذاته، والمتناسل من هذه الذات من خلال حركتي الطبيعة والمجتمع، وبتمازج الزمان والمكان، أي أنه تواصل التفاصيل، وذلك بوجود حوارات ونقاشات تتركز على نقاط تصهرها معاً.

ولكن هل كل خطاب هو خطاب؟ نعم من ناحية، لأنه يقدم شيئاً ما، ولكنه قد يكون ممزوجاً بعناصر معنوية وروحية، تفقده القدرة على التواصل، والدخول في التاريخ الحي، وهنا يلغي الخطاب ذاته. فحين يكون هذا الخطاب مرتبطاً بغايات ذات أبعاد ضيقة، فقيرة الدم، تساعد على تحطيم العقل، ودكتاتوراً أوحداً، يصنف الانسانية في خانات مرقمة، وبمعايير صارخة «عرقية» يصبح مرفوضاً.

ما الذي جعلني أطرح مثل هذه الكلمات، واسهب في الحديث عن سمات الخطاب المطلوب للحوار وفي الحوار؟

ان الذي دفعني الى ذلك، هو ذلك التعقيب الذي قام به الاستاذ (تركي علي الربيعي) رداً على نقدي الموجه الى مقاله المعنون بـ (نقد الاتجاهات المعاصرة في دراسة الاسطورة) المنشور في مجلة (الفكر العربي) العدد/41. وكان ردي عليه معنوناً بـ (ماذا وراء نقد غط الانتاج الاسيوي؟) الذي نشر في نفس المجلة، العدد/45 أما تعقيبه، فقد جاء معنوناً هكذا (الماركسية المغفلة والنقد التهافت) في المجلة ذاتها، العدد/48، وما أريد أن أعلنه هنا هو:

1- لا أحد يستطيع ان يحتكر موضوعاً معيناً لنفسه، فاحتكار الافكار غير ممكن، لأنها رأس مال عالمي.

2- ان النقد الموجه لمادة ما، والاعتراض المضاد، هما عمليتان بديهيتان، بل ضروريتان، وكذلك هما مطلوبتان لتواصل الحوار؛ فالعقل، من خلال نقض ما يركز عليه، يوسع فضاءه المعرفي.

3- ليس هناك رأي قاطع حول موضوع يعتبر كاملاً ومتكاملاً، فالنسبة تحدد كل شيء، أي نسبة الحقائق؛ وتعميم حقيقة ما، وتحليدها إلغاء للعقل الذي أظهرها، ولأن التاريخ الطبيعي والانساني يقدم لنا خلال تقدمه مجموعة من الحقائق لا تكتمل ما دام هناك تقدم وتطور وحياء قائمة.

4- شرط النقد أن يفتح الطريق للحوار؛ والعقل الذي يفتح منافذه من الداخل ونحو الداخل، معتبراً أن العالم هو الداخل فقط، يعدم ذاته بذاته؛ ان الحوار هو ان يفتح العقل منافذه الخارجية، ويرى ما يجري في العالم المحيط به، وإلا فإن النقد سوف يصبح لا نقداً، بل هجاء، والهجاء ليس نقداً أبداً. وما كنت لأوضح نقاطاً أساسية، وردت في تعقيب الاستاذ (تركي علي الربيعي)، إلا لأنها جاءت محرفة لتناسب مع ما يريد الاستاذ الافصاح عنه وإعلانه، ويمكن لأي قارئ كريم ان يقارن بين ما جاء في ردي عليه، وما جاء في تعقيبه على ردي. وهذا التوضيح سوف يكون موجزاً جداً. ولكن ما دفعني قبل كل شيء، الى كتابة هذه الكلمة التوضيحية، هو الحرص على أن تكون ممارسة النقد خارج (الحساسيات) التي تشير فينا انفعالات، وتخلق مشاكل نحن بغنى عنها، وكذلك التأكيد على أهمية وجود الاختلاف، لكي ينضج ويشمر الحوار أكثر.

وما حدث ويمكن تلخيصه في تعقيب الاستاذ - وهذا ما يدعو الى الأسف الشديد هو وجود أمرين لا

يساهمان في إيقاف الحوار فحسب، بل يثيران مشاكل، تلعب الكلمة الحرة، والكلمة النقية، التي تجسد وحدة الانسانية وروعيتها، منذ قرون، بل منذ آلاف السنين دوراً في طمسها واجتثاث جذورها، وهذه المشاكل لها علاقة بالأسماء الشخصية والجنسية والعرف؛ ولا أجد أي مبرر لذلك سوى ذلك التبرير العقلاني الذي يتصوره الاستاذ مقنعاً.

ليس هدفي هنا اثبات هذه الأوهام التي استعنت بها في تعقبك وانما اثبات ما ذهبت انا اليه :

اعتبرني الاستاذ (تركي علي الربيعو) حاقداً عليه، متهماً إياه بأنه غيور على تراثه ! بخ بخ وزه زه - مع الاذن من الدكتور حسن قبيسي - لقد قلت : إنه يظهر لنا نفسه غيوراً على تراثه، وهو يعتبر أن فهم التراث يجب ان يتم من داخله، ويجب عدم التعامل مع (الخارج) استيراد نظريات؛ ولكنه يختار من هذا (الخارج) افكاراً وأقوالاً لمفكرين مختلفي المشارب تتناسب مع ما يريد تأكيده، ومن حيث (الغيرة) أقول: من لا يكون غيوراً على تراثه؟ ان العدمي نفسه هو تراثي في بعض حقوله، وتراي أنا هو تراثك نفسه يا أستاذي الكريم، ان انتقاد الغزالي لا يعني محوه من التراث، أم ترى العكس؟

2- بالنسبة للقائمة التي نصبتها، باعتباري أدنتها، لأنها (تعمل) لصالح افكارك، أقول: ما هكذا يكون التحريف يا صديقي، وأسألك بربك: كيف قرأت النص؟

أ- هل تعرف ما معنى القراءة اللاتاريخية لدى التوسير؟ هل اهتم التوسير بالتطور الاجتماعي والتاريخي والصراعات الاجتماعية (الطبقية) واعتبر التاريخ حركة متصاعدة تعمل لصالح الطبقات الأكثر كشافه؟ أم أعتبر التاريخ حقولاً منفصلة عن بعضها، تكون الثقافة هي قائدة التاريخ، الثقافة السائدة؟.

ب- بالنسبة لغودلييه وكانال: اذا قلت: إنها مغطيان بغطاء اوروبي لا ماركسي، ومقولاتها تأخذ أنساقاً برجوازية، فهل نجد في ذلك عيباً؟ أم ترى غرابية؟ ما هو الغطاء الاوروبي اذا أردنا تقييمه سياسياً؟ ألا يكون ممزوجاً وقائماً بركائز برجوازية تعمل لصالح الرأسماليات الأوروبية الغازية؟

ج- أما غارودي - فيا عجب من تحليلك يا أخي - من قال لك ان الاسلام هو (حظيرة الفكر الرجعي) كما قaddock وهمك الى ذلك؟ ان غارودي يحتاج الى الكثير من الوقت لتحليل اتجاهه الفكري، وكشفه، إن مؤلف (حوار الحضارات) الذي ينادي بمؤاخاة الشعوب وضرورة الحوار، ينطلق من رؤية ضيقة، إذ لا يرى ان فكرة حوار الحضارات ليست علمية، فالحضارات القائمة بانظمتها هي التي ستعرض شروطها، هل تستطيع حضارات المحيط الماضية، والتي هي الآن تابعة، ان تحاور حضارات المركز التي تعتبر ان العالم كله يصب فيها؟. فهو يعتبر الماركسية في عزل ذاتي عن العلم، ولهذا يطالب بالتوجه الى معايشة المثاليات، ويدافع عن مذهب الكثرة في المعرفة، ويعتبر الحزب حياً، وهو (يرفض كل القوانين والمقولات الثابتة في نطاق فهم الحياة الاجتماعية).⁽²⁾، هو يدافع عن نموذج فرنسي للاشتراكية، ترى هل هناك اشتراكية واحدة ام عدة اشتراكيات؟ ان الاشتراكية هي الاشتراكية حين تكون حقيقة واقعة.

ثم لماذا تعتبر ايمان واسلام (رجا جارودي) هو السبب النهائي لإدانته؟ وماذا يعني إسلامه لنا؟ ان مؤلف (الاسلام دين المستقبل) و (ما يعد به الاسلام) لا يعدنا الا بالسراب أعني المؤلف لقد كان (غارودي) منحرفاً قبل اسلامه. ثم ان رأسمالية المركز تصدر إلينا مفكرها، لا لكي نتعلم، ونصبح متحضرين، وانما للايحاء لنا: بأننا لسنا بحاجة الى

التاريخ، وما دام هناك شرق اشتراكي؟ فالماركسية فيه هي التي تحتفظ بمضمونها الثوري. ثم ان تعبير الماركسية الكاذبة يرتبط بأولئك الذين يحاولون تفريغ (ماركس) من أفكاره الثورية عن حمة انتصار الطبقة العاملة، ونهاية المجتمع الرأسمالي.

إن الخطر الكبير هنا هو أن نهمل لرجل يذكر الحرية، والاغتراب، والاستلاب الانساني، ويعتبر الانسان بلا قيم في المجتمع التكنولوجي، دون ان نتمتع في أفكاره. إن ماركسية (ماركيوز) هي يوتوبيا معاصرة مفخخة، وَهْمٌ مَوْعَنٌ يصطاد من هو مرهق، ويعتبر أن لا أمل من الخروج من ظلمات واقعه، ماركيوز ضد مجتمع القمع، مجتمع الاستلاب، ماركيوز ضد الاستبداد، ماركيوز ضد مصادرة الحريات، ولكن ماركيوز مع تشويه النضال الطبقي، والنضال التحرري للشعوب المضطهدة، ضد الثورة العربية، وضد كفاح الشعب الفلسطيني، ومع إسرائيل حيث كان يتخوف من إبادة ستة ملايين يهودي، ويتفق مع سارتر الذي قال (ان كان ثمة شيء ينبغي أن نمنع حدوثه بأي ثمن، فذلك هو حرب إبادة جديدة ضد إسرائيل⁽⁴⁾)؛ وهو أيضاً يعتبر ان وجود إسرائيل هو - حقيقة - يجب التسليم بها، وعلى الدول العربية ان تؤمن بهذا الواقع (التسليم بالضغط). وهو يبرر (حرباً وقائية كتلك الحرب التي شنت ضد مصر وسوريا والاردن)⁽⁵⁾ - هل تعتقد وترى أنني أخالف الحقيقة يا أستاذ (تركي علي الربيعي)، ولكن المواقف واضحة هنا، والكلمات ليست ألغازاً. هل ترى الآن أنه مثل الماركسية الكاذبة، أم ما زلت تصر على أنه صديق الثورة العربية، وعدو إسرائيل والامبريالية الأمريكية؟

ح - بالنسبة لـ (ستياغو كاريو) لقد وضحت قليلاً ما معنى عبارة (الشيوعية الأوروبية) باعتبارها تقسيماً للشيوعية كمذهب عام، ولأن مفهوم الشيوعية

حضارة اوروبا) ولا ألفبائها، فلنا حضارتنا، ولنا اسلوبنا في الحياة، ولكن أي حياة نعيشها الآن، ونحن تابعون لا فيما نستهلكه، وانما فيما نبذله من فكر ونفقتع به؟

د - أما ما يتعلق بـ/بيري اندرسون وبيريان تيرنر/ فبالنسبة للأول وضحت باختصار تحليله التاريخي وايدولوجيته، أما الثاني، أي (تيرنر)، فهو يحتاج ايضاً الى حيز خاص، ولكن قراءة كتابه (ماركس ونهاية الاشتراكية) بتأن، توضح لنا ابعاده الفكرية والسياسية، بالتأكيد هو ليس كتاباً دعائياً، انه كتاب مطبوع بلغة مفكر، ولكنه يثير مسائل حساسة جداً من داخل الماركسية؛ انه يريد ماركسية جديدة، بمعنى ماركسية تتناسب مع الوضع الذي يتغيه هو كمفكر برجوازي، حيث يعتبر الماركسية نهاية للاستشراق المهيمن وبداية لاستشراق واقعي، ولكن بعد إجراء تعديلات فيها: (إن نهاية الاشتراق تتطلب اذن نهاية اشكال معينة من الفكر الماركسي وخلق نوع جديد من التحليل)⁽³⁾.

هـ - بالنسبة لماركيوز: استغرب من هذا التصنيف، ومن ركافة العبارة وهشاشة المعنى، لقد قلت ان الماركيز هو ممثل الماركسية الكاذبة، أسير فكر البرجوازي، ويدعي الماركسية، لا من موقف ثوري، وانما من موقف المعبر الحقيقي عن هذه الماركسية، معتبراً أن الشباب هم صانعو التاريخ، موحداً بين المجتمعين الرأسمالي والاشتراكي، معتبراً كلاً منهما ذا بعد واحد (تكنولوجي). ولماذا هذه الاضافة المشنجة: ماركيوز هو ممثل كاذب، وهناك نوعان للماركسية: الكاذبة يطرحها الغرب البرجوازي، والصادقة يطرحها الشرق الاشتراكي؟ أي تناقض لفظي هنا؟ فما دام هناك غرب برجوازي فكيف تكون الماركسية فيه محافظة على بناها، وعلى مضمونها الثوري في اعتبار الطبقة العاملة صانعة

والانثروبولوجيا البنائية، وما في تضاعفها من إغفال لأهمية الصراعات الاجتماعية، واعتبار اللغة هي محرك التاريخ، ومن أن الشعوب الأخرى (غير المتحضرة) هي أفضل من (أوروبا) بكل حضارتها، رغم خضوعها للاستعمار، إن كل ذلك لا يؤثر فقط في تخدير وعي الإنسان العربي، وإنما في إيقافه عن اكتشاف نفسه بالرجوع إلى الوراثة والانكفاء على الماضي.

2- من قال لك يا استاذي الكريم، انك تمثل فكر الحركة الرجعية الدينية العربية) وأنت تشكل حلقة وصل بين الفكر البرجوازي والفكر الرجعي: الاسلام؟ ان السخرية الكامنة في ردي على مقالك، هي التي أوهمتك بذلك، ثم لماذا هذا التضخيم والتشويه في القول والتنظير أي ما يتعلق بالاسلام، وكأنني اعتبر الاسلام رجعياً بقضه وقضيضه؟ وما معنى هذه الجملة: الحركة الرجعية الدينية العربية؟ ألا تعتقد وترى أيضاً، ان هناك حركات رجعية في المنطقة العربية، وألا ترى أن هناك من يستخدم الدين بشكل عام، والدين الاسلامي بشكل خاص، لأنه يمثل الاكثرية، من أجل مصالحه؟ أما ما يتعلق بعبارة (الفكر الرجعي الإسلامي) فيجب وضعها هكذا: الفكر الرجعي القائم على ايديولوجية دينية إسلامية.

ولا يغرنك هذا القول، كونك (حلقة وصل)، لقد قلت ذلك لأنك هكذا، وإنما لأنك تعتبر نفسك الحامي الاول لما تريد الذهاب اليه، دون رؤية ما أنت تقوم به من فرز لا عقلاي بين ما يعجبك وبين ما لا يعجبك، فأنت تمتلك سرير (بروكروست) بالتحديد!

3- أما عن وضع الفكر الماركسي في المجتمع الاشتراكي، فأنت تحاول نفي الحرية لديه، من خلال وجوده في مؤسسة السلطة، والتزامه قراراتها - أنا لم

الأوروبية، لا يشير إلى التكامل، وإنما إلى إعلان الانفصال عن الشيوعية العلمية التي لا تخص بلداً واحداً، وهو حين يعتبر هذا المفهوم خاصاً بـ (أوروبا) إنما يلغي علاقة نضالية توأمية مع نضالات الشعوب الأخرى المكافحة من أجل الاشتراكية، وهو نفسه أي (كاربون) في البداية لم يعترف بهذا المفهوم، وبعد ذلك، أظهره للوجود. ثم ان عدم التضامن مع الاتحاد السوفيتي، لا يعني هذا الكلام: رفض الانضواء، وإنما رفضه كدولة تجسدت الشيوعية فيه - على الأقل - في هيئة سلطة تمثل طبقة العمال والفلاحين⁽⁶⁾.

خ - فيما يتعلق بمقولة العالم الثالث، واعتباري ان تطوير الماركسية فيه هو مطلب برجوازي، رأسمالي، رجعي، لا علمي، اعتبر هذه الصورة مشوهة، وما كتبه ليس كذلك، فقد اعتبرت ان احداث تغيير في جسم الماركسية، هو محاولة (فبركتها) تشويهها، بما يتناسب مع الاهداف النخبوية والانتهازية.

ل - أما عن استنتاجاتك، فيا لها من استنتاجات ! وسوف أوضح لك ما ذهبت اليه :

1- اما عن المؤامرة البورجوازية والرأسمالية المرتبطة بالغرب الامبريالي والامريكي والياباني أيضاً، فهي غير موجودة على الإطلاق، وما يتعلق بتجزئة الوطن العربي، واحتلال فلسطين، وزرع (اسرائيل) في قلب الوطن العربي، وكامب ديفيد، والعلاقات المشبوهة بين انظمة عربية وأعدائها، ما يتعلق بكل ذلك، هو من نتاج (عناصر) دخيلة قادمة من كوكب مجهول، أما عن ماركيزوز، فقد وضحت من هو، وما يتعلق بـ (شتراس) فله مجال آخر، وهنا لا أدعي أنني أستطيع الغاء كل هؤلاء الذين ذكرت اسماءهم، وإنما هناك جوانب كامنة في أفكارهم، تخفي الكثير من الحقائق المشبوهة. ان الحديث عن الأقوام البدائية،

كما فعلته انت -، يمكن له ان ينسج له ما لا نهاية من الأوهام والحجج، ليبر حجته، ويا لها من عنصرية «إسقاطية» !

وهذا الكلام يشكل جوهر ما تريد التأكيد عليه، وبعد ذلك تحاول التخفيف منه بالجوء الى سيل من الانفعالات والكلمات اللكمائية الى السيد (بروكي): اسمك المفضل) وهنا أسجل هذه الملاحظات:

1- من قال لك يا صديقي ان الماركسية هي نتاج التطور الفكري فقط، انها نتاج التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المتأزم في الغرب البرجوازي والراسمالي؟

2- ومن زين لك مثل هذه العبارة: الماركسية جاءت بطرح جديد يحمل في ثيابه يوتوبيا لعالم اشتراكي؟ كيف تكون يوتوبيا (أي فانتازيا) وتحمل في عالم اشتراكي؟ أي تلاعب لفظي هذا؟ وما معنى إلغاء القيمة؟ كان عليك أن تضيف: إلغاء القيمة الزائدة المرتبطة باستغلال الرأسمالي للعامل.

3- ثم مهلاً يا استاذ (تركي علي الربيعي) وخفف من استعمال هذه الكلمة الجميلة (احكام صيبانية) وأنت تشير إلى ماركيز وشتراوس باستمرار! لقد تحدثت عن (ماركيوز) وقلت: واقول هنا أيضاً: ان نقداً موجهاً الى المجتمع الرأسمالي لا يعني ان ماركيز أصبح (ثورياً) ويستحق جائزة بطل السلام في العالم.

أما بالنسبة لـ (شتراوس) فمع تقدير لي له في مؤلفات كثيرة مثل (الانثروبولوجيا البنيوية) و (مقالات في الاناسة) و (الفكر البري)... الخ أراه يساهم مساهمة في وضع (ايدولوجيا) موجهة لا لصالح تطلعات التحرر العالمية والعربية منها بشكل خاص. هل لك ان تقرأ (روجيه غارودي) في كتابه (البنيوية فلسفة موت الانسان) حيث الاهتمام باللغة، باعتبارها جذر الثقافة، واعتبار التاريخ مجموعة من

أقل ان المفكر الماركسي هنا يصول ويجول كما يريد، ولم أقل أن الستالينية لم تعد موجودة بوصاياتها، ولكن هناك حقيقة يجب ألا نكون متحاملين عليها وهي انه حين نكون متحاملين على شيء ما، ونمارس نحوه كراهية معلنة أو غير معلنة، وننتقل من رؤية مضادة لطابع هذه المؤسسة أو تلك، فإننا نعتبر ما يجري فيها (جحيماً لا يطاق). ان المفكر الماركسي ملتزم بقضايا مجتمعه، والالتزام لا يلغي حرية الابداع؛ هناك ضغط مؤسسي - وهذه حقيقة - وهناك مفكرون تصنعهم المؤسسة الحزبية، ولكن هذا لا يعني إطلاق الحكم العام: المفكر الماركسي محكوم بالايدولوجيا السوفيتية - ان اكانشائفكي ونيكيفوروف وتودور اوزيرمان... الخ) لا يندرجون في قائمتك كما قلت في ردي عليك. وهنا أجدني طارحاً عليك هذا السؤال: ما هي المؤسسة الحزبية والسلطوية التي تراها مانحة الحريات المطلقة لمفكرها، ان لم يعبروا في ناحية من الانحاء عن مصالحها (كاترين جورج، أم ماركيز، أم روستو، أم رايلي، أم فرانكفورت، أم تيرنر، أم مانهايم، أم فوكو...؟).

4- يجب ان تميز يا استاذي الكريم بين (ماركس) كشخص والماركسية كمذهب؛ فبالنسبة للأول يمكن القول أنه ليس هناك من يدعي ان كل ما جاء به ماركس هو بمثابة القول المنزل - انه وهمك. اما الماركسية، فصحيح انها تستمد أطرها من كتابات ماركس الناضجة، ولكنها تضيف اليها كتابات وأفكاراً في مجراها، حسب مقتضيات العصر.

ومرة أخرى أكرر قائلاً: إن كراهيتنا لشيء ما، تجعلنا نسقط عليه كل (بلاوي) العالم، واسباب سقوطنا وفشلنا، ونحاول تشويهه في كل مناسبة وحين؛ وقد كان علي ألا أوضح هذه النقطة من جديد، إلا لكي أذكرك ثانية: أن من يوحد بين الماركسية والعنصرية في خندق واحد ويعمى مندفع -

مخطوطات /1844/ ثم توضحت افكاره واكتملت مع (رأس المال).

أما بالنسبة لتاريخ (غط الانتاج الاسيوي) فلا بد ان تعلم يا صديقي أنه ارتبط بنشوءه وتكامله، مع التراكم والتراكم الرأسمالي في المجتمع الاوروبي، ومع توسع الاسواق التجارية وظهور الاستعمار، وغزو الشعوب في أرضها وتاريخها ووضع مخطط للعالم وفق (المركزية الأوروبية).

7- حول الآراء التي تناولت هذا المفهوم (أي: غط الانتاج الاسيوي) لا بد من القول ثانية أنها لم تستطع فهم المغزى الحقيقي له، باعتباره جاء في سياقه الظاهري مستقلاً، ولكنه في جوهره، داخل في اطار اللوحة الخماسية، وبشكل نظرية مندمجة بنظريات ماركس الأخرى حول الانتاج والتداول وقوانين القيمة والقيمة الزائدة والتراكم الرأسمالي. الخ، أما ما يتعلق بماركس الشاب وماركس الكهل، فهذا يوضح توجه هذه الآراء التي اعتمدت على نتاج ماركس الفكري في بداياته، دون ان تتابعه في رأس المال وما بعده.

- نعود من جديد الى السلفية:

ان التطبيقات الماركسوية - كما تسميها - في المنطقة العربية، ما زالت في طور التكوين، وهي لم تأخذ بعد المكان المناسب لها، فالعوائق السياسية كثيرة؛ واذا كنت أحترم رأي (الجابري) في كتابه (الخطاب العربي المعاصر) فإن لي تحفظاً حول منهج هذا الكتاب، فهو يلغي كل اشكال الخطاب العربي، لكي يضع له خطاباً جديداً، مع العلم أن هذا الخطاب نفسه، قد يكون استمراراً لهذه الخطابات.

ثم ان فشل - ولنفترض ذلك - الخطاب العربي المعاصر بشقه الماركسي، لا يعني ان ماركس هو السبب، وأنه لا يمكن الاستفادة منه. ان العلة هنا

الثقافات: (فاللغة هي كيان الثقافة بالذات، وان الانسان، بالتعارض مع الحيوان، يتحدد بالوظيفة الرمزية⁽⁷⁾)؟ اين المجتمع يا ترى؟ اين الفوارق الاجتماعية والطبقية؟.

4- أكرر هنا أيضاً: ان النقد لا يعني الغناء من يوجه اليه النقد، ولكن حين يتصور احدهم أن هذا النقد معناه الإلغاء، فهنا فقدان الرؤية الموضوعية للاشياء؛ فالنقد تقويم وتقييم، وحين يوجه نقد من هذا المضمار الى اشتراوس أو ماركيز أو كارل مانهاييم أو ليثي بروهل) فهل هذا يعني محو كل ما كتبه يا سيد (تركي علي الربيعو)؟.

5- ما يتعلق بكشفك عن التناقضات الفاضحة المزعومة، كان عليك ان تعيد أقوالك، وتميز بين الجانب التكتيكي والجانب الاستراتيجي من الموضوع، فالنظرية كانت محتفظة بجذورها، ولكن تفسيرها ارتبط باختلافات في العلاقة معها تطبيقياً، وفي مجال التطور الاجتماعي، وانطلاقاً من المنظور الايديولوجي - وفق رؤيتك: ان الصين لا تندرج ضمن اطار اللوحة الخماسية في تطورها، وهذا يعني عدم ارتباطها بالمخطط الماركسي الخماسي، ومن هنا جاء خلافها مع الاتحاد السوفيتي. ان الخلاف في التطبيق لا في النظرية، في الذين يمارسون الفعل انطلاقاً من مواقع طبقية، واجتماعية مختلفة، لا في الذين يقرأون النظرية فقط.

6- ما يتعلق بموقع غط الانتاج الاسيوي في النظرية الماركسية - اللينينية، لا بد من معرفة ان النظرية ليست وليدة يوم واحد، ان تقليد الشجرة اجتثاث جذورها، وكذلك فإن غط الاسلوب الاسيوي ليس غربياً عن افكار ماركس ومن جاء بعده أي (لينين)، فهو داخل ضمن اطار هذا المذهب. لقد كانت البدايات الاولى لماركس مع

ان التشنج لا ينبج فكراً أو ثقافة، أو يولد خطوة لاستمرار الحوار.

- لنعترف ان تجارب الشعوب، ثروة لكل الشعوب، ويمكن الاستفادة منها، حسب الحاجة.

- لتجاوز ما يتعلق بالمسائل الحساسة (الطائفية والمذهبية والعرقية).

- لينظر بعضنا الى الآخر على أنه امتداد له، يكتمل فيه وبه، ويكمّله، لا على أنه ضده ونقيضه . .

- لنوسع دائرة الحوار، لنلغ الحواجز المصطنعة التي صنعتها الثقافات المشبوهة، والعادات الموغلة في العفونة، وقبضايات العشيرة والقبيلة والدين والمذهب والجنس.

- لنقل حرص لوحدة الشعب، لوحدة الانسان الاشتراكي.

لتسقط العنصرية بكل اشكالها ودعاتها

لتتحد في ظل هذا الشعار !

والسلام عليكم !

ولنكمل الحوار !

كامنة في كيفية التعامل والتفاعل، التعامل مع النظرية والتفاعل مع الواقع. وهذا الخطاب يختلف عن الخطاب السلمي الاسلامي الذي يركز على أرضية تاريخية قوية، ويمارس منذ قرون في إطار المؤسسة السائدة.

وهناك نقطة: لقد أحسنت في الوصف حين قلت: ان الباروكة الماركسية - اللينينية لا تتناسب مع قرعتنا حتماً - ولكن ما فشلت في التعبير عنه وفي الوصف هو ان النظرية ليست باروكة، والمجتمع ليس قرعة، حتى يتم اختيار ما هو مناسب من هذه الباروكات. فالنظرية بذور، أو أنساغ تحمل تجارب اجتماعية وتاريخية لشعب ما، والمجتمع ليس قرعة تنتظر باروكة، اذ ليس هناك دواء للقرع، فالشعربنت من خلال قوة دفع داخلية، وحين تنضج الظروف، ويكون هناك من يفهم هذه العلاقة.

- ما يتعلق بالنقطة الأخيرة: ليس هناك شتم في الحوار يا استاذ (تركي علي الربيعو) انت تفسر ذلك انطلاقاً من وهم يأسرك، الشتم في استعمالك، لتلك الكلمات الحميلة: مثل: صبيانية - بروكي - اسم الدلع - لافض فوه. . . الخ.

كلمة اخيرة:

- لتتجاوز، لتتناقش، لتتبادل الاحترام بالاحترام،

الحواشي

- (1) باشلار، غاستون: تكوين العقل العلمي - ترجمة د. خليل احمد خليل - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت الطبعة الثانية 1982 - ص 18.
- (2) مومدجان، د. خاتشيك: فلسفة الردة (رد ماركسي على غارودي) - تعريب وتقديم: محمد ابو خضور - دار دمشق - بلا تاريخ نشر - ص [31] 40 [81].
- (3) تيرنر، بريان: ماركس ونهاية الاستشراق - ترجمة: يزيد صايغ - مؤسسة الابحاث العربية - بيروت - الطبعة الاولى - 1981 - ص 104/.

-
- (4) العالم، محمود امين: ماركيز، أو فلسفة الطريق المسدود - دار الآداب - بيروت.
- (5) المصدر نفسه - ص /189/.
- (6) للدقة والامانة. . اطلب من الاستاذ الكريم، ان يقرأ الرد السوفياتي على كتاب (ستيياغو كاريو) الترجمة العربية: سمير كرم - دار الطليعة - بيروت - الطبعة الاولى - 1978 - ص /149/.
- (7) غارودي، روجيه: البنيوية فلسفة موت الانسان - ترجمة: جورج طرايشي - دار الطليعة - بيروت الطبعة الثالثة /1985/ ص /30/.